

أضواء البيان

@ 272 @ ثم يكون في ذلك علقهً مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد (الحديث . ففي هذا الحديث الصحيح تصريحه صلى الله عليه وسلم بأن الجنين يمكث أربعين يوماً نطفة ، ثم يصير علقه ، ويمكث كذلك أربعين يوماً ، ثم يصير مضغة ويمكث كذلك أربعين يوماً ثم ينفخ فيه الروح ، فنفخ الروح إذاً في أول الشهر الخامس من أشهر الحمل . . وقال البخاري رحمه الله في صحيحه : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك حدثنا شعبة ، أنبأني سليمان الأعمش ، قال : سمعت زيد بن وهب ، عن عبد الله قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع : برزقه وأجله وشقي أو سعيد) الحديث ، وهذه الرواية في البخاري ينقص منها ذكر العمل ، وهو مذكور في روايات أخر صحيحة معروفة . وقد قدمنا وجه الدلالة المقصودة من الحديث المذكور والله أعلم . .

وفي هذه الآية الكريمة سؤال معروف : وهو أن يقال : ما وجه الإفراد في قوله { يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً } مع أن المعنى نخرجكم أطفالاً . وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة . . منها ما ذكره ابن جرير الطبري قال : ووحد الطفل وهو صفة للجمع ، لأنه مصدر مثل عدل وزور وتبعه غيره في ذلك . .

ومنها قول من قال { نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً } أي نخرج كل واحد منكم طفلاً ، ولا يخفى عدم اتجاه هذين الجوابين . قال مقبده عفا الله عنه وغفر له : الذي يظهر لي من استقراء اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، هو أن من أساليبها أن المفرد إذا كان اسم جنس يكثر إطلاقه مراداً به الجمع مع تنكيره كما في هذه الآية ، وتعريفه بالألف واللام ، وبالإضافة فمن أمثله في القرآن مع التنكير قوله تعالى { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } أي وأنهار بدليل قوله تعالى { فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ } وقوله { وَاجْعَلْ لِّلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } أي أئمة وقوله تعالى { فَإِنَّ طِبْنَ لَكُمْ عَن شِدَّةٍ مِّنْهُ زَفَاً } أي أنفساً وقوله تعالى { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ } أي سامرين وقوله تعالى { لَا زُفَرٌ قُبُيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ } أي بينهم وقوله تعالى { وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } أي رفقاء وقوله تعالى { وَإِنَّ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا } أي جنبين أو أجناباً وقوله تعالى { وَالْمَلَأْنِيكَ } . .

بَعْدَ ذَٰلِكَ طَهَّرُوا { أي مظاهرون ومن أمثلة ذلك مع التنكير في كلام العرب قول عقيل بن علفة المري : % (وكان بنو فزارة شرَّ عم % وكنْتُ لهم كشر بني الأَخينا) % .
يعني شرَّ أعمام : وقول قعنب ابن أم صاحب : يعني شرَّ أعمام : وقول قعنب ابن أم صاحب : % (ما بال قوم صديق ثم ليس لهم % دين وليس لهم عقل إذا ائتمنوا) %